حديقة المقتطف

رولا

من أروع قصائد الفريد دي موسيه

ترجمة فابكس فارس

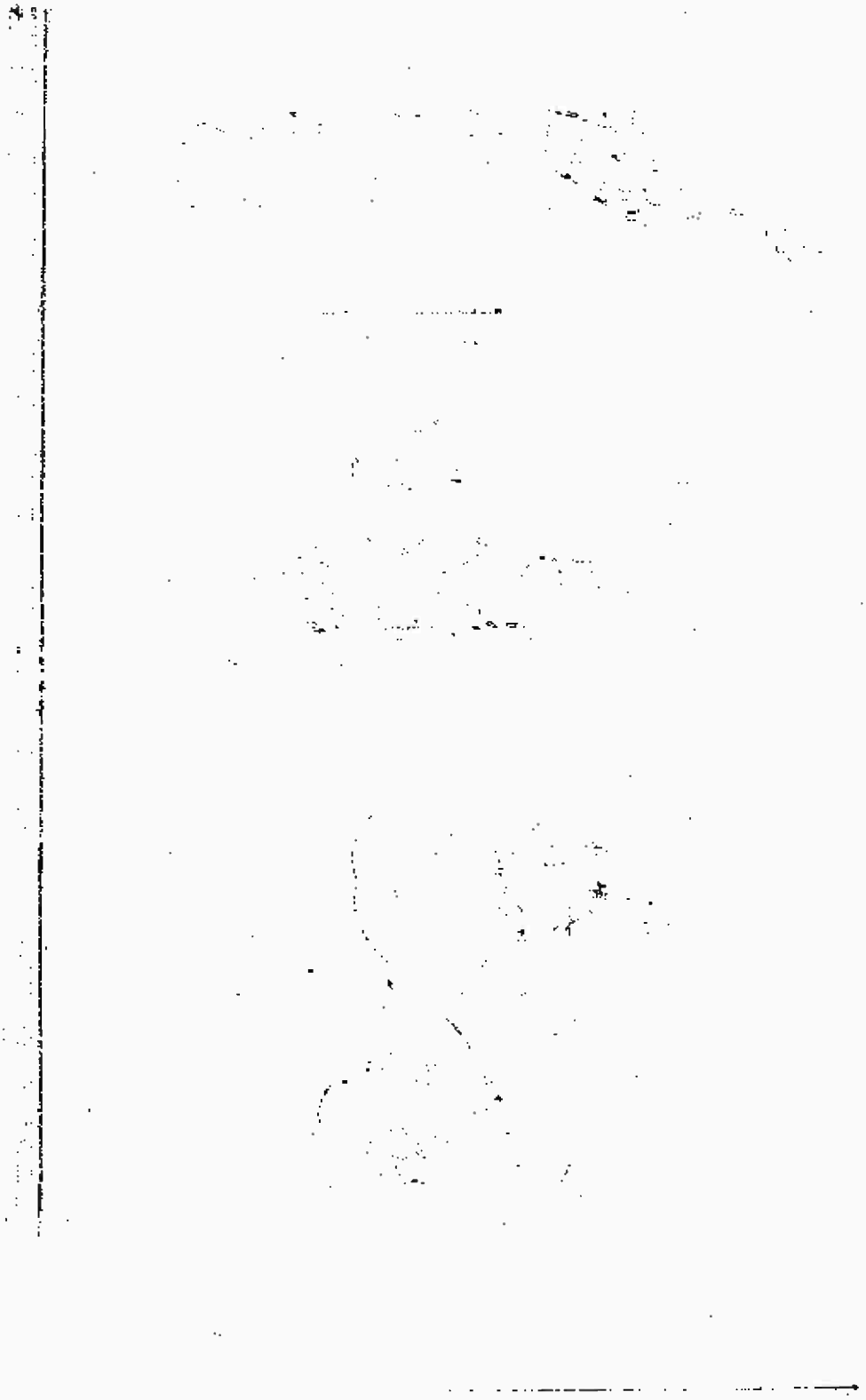

رولا

من أروع قصائد الفريد دي موسيه

ترجمة فليكس فارس

تمهيد

إنَّ الفكرة والبيان لمزدانان على كل كاتب ، وقد تكون غيرته على بيانه أشدَّ من غيرته على تفكيره ، والكاتب يبدي آراءهُ وأحكامه أقوالاً في كل مجال فلا يلوي عليها في حين أن صفحةً تبدعها براعته تسقط عن شخصيته سقوط الجنين عن أحشاء أمه ، فكل ذي بيان حريص على بيانه حرص الحياة على مظهرها ، وما تدرك الحياة نفسها الاَّ على مدارك شخصيتها

إنَّ في بذل البيان لتفكير الغير كثيراً من التضحية لكاتب إندغم تفكيره في بيانه ، لأن هذا البذل يستلزم إقامة حاجز بين القوة المبدعة مما كمن فيها تذكاراً وتنسيقاً ، علماً بالاستقراء وعلماً بالحس الباطن ، وبين قوَّة التعبير تصويراً وتلويناً وتنغيماً . وفي هذا الفصل من الجهد ما لا يدركهُ الاَّ من يعانيه . ولا يعاني هذه المشقة كل من يقتحم الترجمة اطلاقاً ، فان من الترجمة ما لا تتعدى الاقتدار على النسخ وليس هذا النوع ما نعني ، فالمترجم الذي ينقل عن لغات الغرب كتاباً يبحث صناعة او مسألة اقتصادية لا يكون عملهُ اذا هو أمثلك ناصية الفنين الاَّ عبارة عن كتابة ما سطَّرتهُ الريشة من الشمال الى اليمين بكلمات يخطها القلم من اليمين الى الشمال ولمثل هذا العمل قيمته ولا نكر غير انهُ جدّ بعيد عن مجال البيان الأدبي ، وليس فيه غير أثر الجهد والاطلاع والدقة اذ لا يمكنهُ ان يتضمن أشياء من شخصية المترجم الادبية

شتان اذاً بين من يترجم ومن يسلخ انشاءه عن تفكيره ليكوِّن هيكلاً سويًّا من البيان تحتله روح مؤلف مبدع فنان

لك أن تعهد الى أي مهندس شئت بأن ينقل لك خارطة مهما تعددت خطوطها

وتشبت تماريجها ، فانهُ ليستعين بالمسطرة والبركار فيأتيك بنسخة عنها لا تفرق عن الاصل بشيء ، ولو عهدت الى عشرة مهندسين بهذا العمل لأتاك كل واحد منهم بنسخة لا تفرق عن نسخ الآخرين . ولكنك لن تصل الى النتيجة نفسها اذا أنت عهدت الى رسامين اثنين برسم صورة انسان او حيوان او زهرة او منظر من مناظر الطبيعة . ذلك لان رسم الجماد يستلزم العمل بصناعة ثابتة الاصول ورسم ما تتجلى فيه الحياة يستلزم العمل بالفن ، وما الفن الا قوة متغلغلة كالحياة نفسها في أعماق مجهل الفنان نفسه أغوارها

ناقل المعلومات الوضعية والقصص والاحاديث العادية من لسان الى لسان مترجم كلمات بكلمات أما ناقل البيان الفني والشعري ففنان وشاعر يعير بيانه بلغته ويتنازل عنهُ لتفكير عبقري يستحق أن يُسكت الناقلُ تفكيرَه أمامه ويطوي لديه شراع خياله واهامه

وبعد ، فهذا تعبير بالعربية عن قصيدة من أروع قصائد الفريد دي موسه ان لم تكن اروعها جميعاً ، تصدّتنا بالهامها وفنها فانحنينا ايرادها بالعربية ناثرين نظيمها سرضين عن قوافيها ، اذ لو اردنا تقييدها بالنظم العربي لأفضنا الى غموض الاصل غموضاً آخر يُبعد الشقة بين إلهام موسه وبيانه ، ونحن باعتمادنا النثر كنا اقرب من الشاعر نفسه الى إلهامه وشاعريته

لاح لبعض كبار كتّابنا ان لا فائدة من ترجمة الشعر لانهُ قائم على عناصر لا يمكنها اجتياز حدود لغتها للدخول في حدود لغة اخرى ، ونحن مع اعترافنا بما للنظم من ميزة لا تفقد ان الوزن والقافية هما اهم عناصر القصيدة بل قد تتضاءل فيهما حتى ليصبحا في حكم المعدوم في القصائد التي يسودها الشعر العالي وروعة الموسيقى الفنية في إحكام ألفاظها . فانك لو قرأت لموسه صفحة من انشائه المرسل لتحس بالهزّة نفسها التي تستولي على مشاعرك حين تقرأ أجمل قصائده

وهنالك ظاهرةٌ أخرى تدلك على ان ما يشجيك من مباهج القصيد ليس موسيقى الساكن والمتحرك في التفاعيل او (التكْ والتمّ) بتعبير آخر بل هو انتظام الالفاظ في سلك البيان وتلاؤم التراكيب ، وهذه الظاهرة تتجلى لك في طريقة إنشاد

الثنائين للشعر فهم لا يقرأونهُ سواءٌ أعربيًّا كان أم أفرنجيًّا على الطريقة القديمة التي تدخل التفاعيل الى الاذن كانها نقرات الدفوف بل يلفونهُ بالمد والقصر تبعاً لموسيقى النوتة الكامنة في النظم متجاوزين حدود القوافي ليشعروك بروح القصيد دون تفاطيعه

ولو انك سمعت ملقياً من كبار قراء الفرنجة ينشدك قصيدة فانك لا تميز لاول وهلة هل ما يلقيهِ من المنظوم أو من المنثور

لذلك لا ارى ما يراه البعض من الاستغناء عن ترجمة القصائد الخالدة من اللغات الاجنبية الى العربية بحجة انها تفقد ميزاتها وروعتها ، فانا نرى بالعكس ان المترجم اذا ملك ناصية البيانين يمكنهُ ان يزيد في جلاء القصيدة وجمالها بتوجيه موسيقاها وسرابيها توجيهاً اقرب الى الفن المطلق من توجيه المؤلف نفسه . لان المؤلف الناظم قد اكرهتهُ الاوزان والقوافي على مجاراة قيودها

ان الفريد دي موسه لأقدر من تسلط على الالفاظ فانقادت له بأوزانها وقوافيها ، ومع ذلك فقد رأيناه في قصيدته (رولا) يضطر احياناً الى الانقياد لاوزانه وقوافيه فتتحكم بألفاظه وتجره الى ترسمها بخطوات تخرجه عن سبيله ، وكنا نحن غير مقيدين الا بفكرته وعواطفه وأسلوبه ، فأمكننا ان نرجع خطواته التائهة الى موائمها وما نحتاج الى مثل هذا الجهد عندما نترجم من نثره ونثر غيره من أرباب الفن الخالدين

ويلوح لنا ان اللغة العربية بما فيها من مرونة والفاظ موسيقية أليق من اية لغة باستيعاب فنون الامم جميعاً ، ذلك لاننا نقرأ ما يترجمهُ الفرنجة عن لغاتهم وعن لغتنا ونشعر بتمرد الاصل بغالبهُ المترجم فلا يتوصل الى دمغه بطابع لهُ . وما نشعر بمثل هذا القصور عند ما نطالع ترجمة كبار كتابنا

لقد حاولنا أن ننقل قصيدة رولا فأعرناها يانا واذا كان توفيقنا لم يتعد حدود اقتدارنا ، فحسبنا انا اقتحمنا مسلكاً غير معبَّد لن يصعب على عباقرتنا تذليل صعابه

الاسكندرية ابريل ١٩٣٨ فليكس فارس

رولا

مهداة الى محمود تيمور

— ١ —

أيشجيك الزمان الذي كانت الارض فيه مسرحاً للسماء تتقمّص بطلات الآلهة آلهة الاساطير ، حين تفرت الزهرة من احشاء الغمر وهي تنفض بلل دموعه وتشبّ ناقصة ضفائر شعرها لتُسرع الدنيا بلوائحها . . .

أيشجيك الزمان الذي كانت فيه الحور الهائمات تداعبنَ شعاع الشمس طائرات بين ازاهر النيران متحرّشات بأرباب الحقول المتراخين تحت ظلال الغاب ، حين كانت الينابيع ترتعش لقبلات الاله الذي انقلب على ضفافها رُجماً تديّاً ، بينما كان هرقل الجبّار المدثر بجباءته الدموية يمد على الارض وارف عدله ، وبينما كان آلهة الغابات يطلّون من بين أغصان السنديان الخضراء المتأودة ويرددون أغنية السابلة بأصداء الصفير .

ذلك زمن كانت الالوهية فيه تتفاعل في كل شيء حتى في صميم آلام الناس ، فكانوا يعبدون ما يحزنون في هذا الزمان .

ذلك زمن كان له اربعة آلاف إله ولم يكن فيه جاحد واحد : زمن تمتع فيه الكل بالسعادة فما حرم منها الا (بروموته) شقيق ابليس الهابط بهبوطه .

لقد مضى ذلك العهد فتبدلت السماء كما تبدلت الارض والانسان ، فاذا مهد العالم يستحيل له لحداً ، وقد هبت أعاصير الشمال على أنقاض روما فكفّنتها بأوشحتها السوداء .

***

أيشجيك الزمان الذي توارى فيه عصر البرابرة مخلّفاً عصراً ذهبيّاً شهد العالم القديم يصدع لحده ليهبّ حين هبّ العازار من قبره مطلاً على الدنيا وقد التمع جبينه بأنوار الشباب

ايشجيك الزمان الذي كانت اغانينا القديمة فيه تنشر اجنحتها الذهبية لتجول في آفاقها الساحرات ، حين كان كل ما لنا من صروح ومعتقدات يتشح بياض الكارثة والطهر حين كان كل شيء يُبعث من لحده بعد ان بسط عيسى عليه راحته ، حين كان بيت الكاهن وقصر الامير يرفعان كل على جبهته صليباً يمد بذراعيه الى الآفاق ؟

أيشجيك زمن كانت فيه بيعة السيدة في كولونيا وبيعة الحواري بطرس في ستراسبورغ تنتصبتان كأنهما اكوام صخور جامحة في خشوعها الى أناشيد الشعوب تسبح الله مستقبلة طلائع العصر الجديد ؟ ذلك زمان كان للحياة فتوتها فيه وكان الموت فيه راسياً على الرجاء .

***

أي ، عيسى ، ما أنا من تحملهم خطواتهم المرتعشة الى معابدك لتأدية فروض الصلاة . لست ممن يتسلقون مرتقي الجلجلة لينطرحوا امام صليبك مقبلين اقدامك الدامية ، انا ممن يلبثون وقوفاً امام ابواب هيا كلك المقدسة ، بينما تهب المدائح على جماعات المؤمنين فتلويهم كما تلوي الرياح سنابل القمح ، فيرتمون على الركب مستمين كلمات التسليم لمشيئة الله

أنا لا أؤمن بكلمتك ، أيها المسيح ، وما أنا الا قادم متأخر يقحم عالماً تجاوز حد الهرم ، وهل يلد جيلٌ لا امل له الا جيلاً وقحاً لا خشية في قلبه ؟ لقد أقفرت سماء هذا الزمان فأفلت كواكبها ونجومها وما يسود الا الصدف السماء على من انتفضوا من اوهامهم وهم يتدفعون شتيتاً مروّعاً على مراكض الاشباح

إن الروح القديمة تهب على ردوم العالم مشوّهة ما في السماء من اجناد قاذفة بهم الى أعمق الاغوار

لقد تخلخلت مسامير صليبك تحت مستندك عليه ، وزلزلت الارض تحت جدران مدفنك ، فأين مجدك ايها المسيح . ان مجسمك قد استحال رماداً على صلبانا السوداء ..

***

أستبيحك ايها السيد أن أضع قبلة على هذا الرماد ، أنا ابن هذا العصر الجاحد ، دعني أمسح دموعي على هذه الارض الباردة التي وهبتها الحياة بموتك وها هي ذي صائرة بعدك الى الموت

من سيعيد اليها حياتها ، وقد كنت احييتها بدمك الطاهر . من سيأتي الى العالم مرة اخرى بما اتيت به ، من سيعيد الينا الشباب نحن ابناء الامس المثقلين بأوصاب الشيخوخة وهرم . وحال العالم اليوم كحاله يوم ولدت وهذا الجيل يتوقع ما توقعهُ ابناء عهدك ، على ان ما فقدناه نحن قد تجاوز ما فقده الاولون

إن الازار هذه الازمان مسجّى في قبره الفسيح ، فأين المخلّص يدحرج الحجر عنهُ ؟ اين الحواري بولس الشيخ يقف كما كان يقف بين ابناء روما حين كانت عيون الشعب معلقة بأطماره ؟

أين نحن من علية العشاء السري ومن سراديب أوائل المؤمنين ؟

من منا يحمل هالة النور على جبينه . وعلى اقدام من ستنكسب عطور المجدلية ؟

في أي جوّ سيصدو الصوت المختفت لأصوات البشر ، من منا سيرقى مرتبة الالوهية ؟

لقد عادت الارض الى هرمها وقديم أنحطاطها فهي ترتعش اليوم كما ارتعشت حين ظهر يوحنا في الصحراء وهتف هتفتهُ التقدسية ، غير ان الارض المحتضرة احست في ذلك العهد بالمخاض لنتائه وتحرك في احشائها عالم جديد

أفليس عهدنا كعهد كلوديوس وطباريوس ، وقد أخلق الدهر كل شيء وارتوى كيوان من دماء ابنائه . لقد تعبت الانسانية من توليد الآمال ، وهذا ضرعها يتدلى خاوياً لكثرة ما أرضعت فهي الآن ساغبة تطلب الراحة في عقمها

— ٢ —

وكان جاك رولاّ أسلّ فاسق في باريس : في المدينة الجميلة بين مدن العالم بانذفاق رذائلها وابتذال فحشائها . وما لاح بين اعمدة مواخيرها ولا أنارت مصابيحها الخاسئة ولداً عربيداً كرولاّ على موائد ميسرها وولائمها

وما كان لرولاّ من قائد غير شهواته وقد أسلم لها زمام حياته وهي تنساب أمامه طليقة كقطيع نام عنهُ راعيه ، فأصبح يتطلع الى أمامه كوسنان ينظر الى ذاهبات الماء في الغدير

وانحصرت حياة رولاّ في شهواته فاستقرت في جسده كنزلاء فندق سادهم السكر يتلهون تارة بتخديش الجدران وتحطيم الاسرة متاوشين في الظلام متمازقين

كالحآذر والمصارعين ويتجمعون تارة متماطين الكؤوس متناشدين كسرب الطيار دفعتهم الرياح الى شجيرة مزهرة في أرض فاحلة

وكان والد رولا وهو من صعاليك الباهاء ربى ولده تربية من سيرث ميراثاً ضخماً وقد تامى انهُ بدَّد هو نفسه اكثر من نصف ثروته

ووجد رولا نفسهُ في ليلة من ليالي الخريف سيداً بتول زمام نفسه وهو لا يحسن صنعة ولا يعرف فنًّا ولو انهُ أحسن اي عمل لما أطاق القيام به ،وهل يحمل نفسهُ مشقة من يرى السعي للرزق جديراً بالحسام ، ومن لا يقابل الناس إلاَّ بابتسامة لا يعرف احد الاَّ مناها ؟

وذهب رولا يتمتع بالرصيد الباقي له إرثاً عن أبيه محتفظاً بغرور السيد لاعتقاده بأن الله قد ابدعهُ سيداً

***

قيل ان هرقل جلس يوماً وقد تعب من جهوده في عمله الابدي على مفرق طريقين تناديه الفضيلة من أحدهما وتراوده ملذات الفسق من الآخر فاتبع الفضيلة إذ لاحت له أبهى وأجمل من الملذات

ذلك زمان كان فيهِ قبحٌ وجمال أما الآن فلا جمال لا في الخير ولا في الشر ، وليس لهذا الجيل ان يقف متشككاً حائراً بعد ان سبقتهُ أجيالٌ اختطت لها جادتها الكبرى بين طريقين اندثرت معالمها حول المسلك الجديد . . .

وما كان رولا وهو يتبع هذا المسلك في العشرين من عمره الاَّ مقتفياً خطوات من تقدموا عليهِ من آبائه

***

ما يستقبل انظار الداخل الى المدن الاَّ مجازرها وأسوارها ومدافنها ، وهكذا من يتجه الى المجتمع لا تلوح له عند اقترابه منهُ الاَّ نقائصه ، فالطهر والعفاف عجبان في حين ان الرذيلة والابتذال يتعانقان أمام عين الشمس . وما يرحب الناس بابن جلدتهم اذا هو تقدم نحوهم شاهراً الفصل القاطع الذي وهبتهُ إياه السماء ليدافع به عن نفسهِ فهم لا يضحكون له مجالاً إلاَّ اذا غمس هذا الفصل أولاً في نهر الضلالة والاقذار . . .

وكان جاك صريحاً جسوراً رائع الجمال يأنف من الانطباع على الحياة ولا يعرف له آباً غير الشمس ، عاش ثلاث سنوات مخصصاً لكل سنة كيساً من الذهب، فلم تَرَ الارض من مشارفها الى مغاربها آدمياً مثلهُ ينفر احتقاره على الشعوب وأسيادها

مشى رولا بنفس عارية في مساخر هذه الحياة معربداً صاخباً يجرّ اذيال غروره فما جهل احد انهُ بدّد جميع ما يملك في سنواته الثلاث ، وكان الناس ينظرون اليهِ بتسمين فيعلن لهم انهُ أعدّ قذيفة يلهب بها دماغه حين يتمي بهِ شوطه الى الاملاق

وكان هذا الفتى الجموح ابنَ النفس ساذجاً كالاطفال عطوفاً كالاشفاق عظيماً كالاسل لا يبالي بالدهر ولا يحسب لهُ حساباً وهو يعتقد انهُ مدّرع للحادثات زوداً لا يفنيهِ الزمان

***

عندما يشرد فرس الفقر الجموح في الصحراء وتمر الايام تبتليه بالسمّار القاتل يتطلع عتاً الى السماء متوقعاً منها رذاذاً يبلل النخيل المقشّع بالتبار وقد تدلت اغصانه من وهج السماء المشتعلة كأنها غدائر النوادب ، فيذهب مقتشاً على الآبار وقد نزحتها ألسنة النار ، وتلوح له الآساد منطرحة على الصخور تموج بالأنين وقد هدّ قواها الظمأ ، عندئذٍ يفرس الفرس منخريه الدامتين في الرمال ، والرمال المحرقة تمتص دماءهُ فينطرح على الغبراء وينطفىء النور في عينيه فتدور بهِ ذرات الرمال الصفراء لتلفه بأكفانها الصامتة أبداً في طيها ونشرها

***

لو علم هذا الفرس ، عند ما مرت بهِ القافلة قرب الساج ، انهُ باستسلامه لحداة العيس واقتنائه آثارهم ينجو بحياته لكان ادلى بشقه وكبت جموحه فوجد في بغداد مخالب القفص الندي المزهر وآباراً لا يدرك الطرف غورها

***

اذا كان الله قد جبلنا من طينة واحدة ، فلا ريب انهُ انشأ من صلصال غريب من يشبهون الصقبان بتمردهم ولعله الفى بخزفهم ليجف تحت اشعة شمس لاذعة ، فجاءوا الحياة بأجنحة لا تلوى ورؤوس لا تنخفض ، فعاشوا في الدنيا وما امتلكوا منها الا كلمة الحرية

— ٣ —

أعلى ثلج أم على دمية من رخام يتلاعب اشعاع المصباح الذهبي على الستائر الزرقاء الممتدة فوق السرير ؟ لا . . ليس للثلج ولا للرخام مثل بياض هذه الطفلة النائمة تتردد انفاسها كالنسيم المهوّم على اعشاب البحار

هي طفلة ما مرّ بها الا خمسة عشر ربيعاً ولما تتضح انوثتها بعد . والملاك المنعطف عليها يرتاب فيها فلا يدري اهو اخوها أم هو عاشق لها

لقد انفرط شعرها على جسمها فكان له دثاراً وهي قابضة على صليب عقدها كأنها تُشهد الليل على انها رفعت الى الله صلواتها قبل استسلامها للكرى وانها ستكرر هذه الصلاة عند ما تفيق مع الضحى .

***

لقد استغرقت في نومها وتألق جبينها بهالة النبل والطهر فكأن السماء قد اغدقت رذاذاً من الضفاف الأعلى .

هي نائمة عارية وراحتها مبسوطة على قلبها ، فيا لروعة هذا الجمال هالةُ الليل فارقتش وشاحه الازرق أظلالاً يداعبها النور فتزداد الاظلال خاشعة عن هذا الجمال

***

يا لانفاس هذه العذراء ، توقدت الرهبة كأنها صدى خطوات عابد خاشع امام هيكله .

في الغرفة ازهار ليمون ناضرة ، وتول وكتب ، وعلى الحائط غصن مقدس يتدلى حزيناً فوق صليب قديم ، فما اطهرك يا رقاد الطفولة وقد القت اليك السماء بدرع الجمال ، وهل عاطفة الطفولة الا صلاة خاشعة كأنها عبة الارواح .

أفما يشعر من يتقدم الى هذه الطفلة الراقدة بأن فوق سريرها ملاكاً يرتعش جناحاه وهو ساهر عليها

***

أهي أمك أيتها الفتاة ، هذه المرأة الجالسة قرب سريرك تردد انظارها على الساعة الناطقة وعلى الموقد المستعر ، فتنهض بذاهب صبرها من حين الى حين .

ماذا تراها تنتظر في مثل هذا الهزيع من الليل ، وعلى م تنهض لتعاين بابك وشرفتك ، اذا كانت هذه المرأة أمك ، فمن تنتظر غير أبيك ، وأبوك قد مات منذ زمن طويل .

لمن هذه الكؤوس وهذه المائدة وما عليها من الطعام ، لمن أُشعلت هذه الشموع ومن هو القادم يا ترى ؟

لأثرٍ من يشاء ، فأنتِ مستغرقة في رقادك ، ولست أنت الخليقة المهيأة للعاشق المنتظر . ومن يجسر ان يتلفظ بالغرام أمامك وهذه أحلامك مشرقة بأنصع من ضياء النهار في ظلمة ليلك

لمن هذا الدثار تمسح المرأة الساهدة عنهُ ما علق به من أمطار وأوحال

انهُ لدثار صغير نوعاً ما ذا دثارك ، يا ماريا ، وهذه آثار البلل على شعرك ، واحمرار التعب على خديك . فأين كنت ذاهبة تحت العاصفة في هذا الليل

لا . . . ان هذه المرأة ليست أمك

***

سكوتاً . . . ان ما وراء الباب أصواتاً خافتة ، وقد لاح من فرجة دفتيهِ نساء نصف عاريات تشعث غدائرهن وهنَّ يتزلقن انزلاقاً في السرداب المظلم

في الغرفة المجاذية مصباح تتضاءل أنواره على كؤوس متساقطة فوق الخوان المفرج بمثالات الخمور وعلى بقايا ما تمتعت بهِ الفحشاء

أُغلق الباب وتعالت من ورائهِ تهتفات مروعة

***

انها لاشباح أحلام ، يا ماريا ، فكل شيء يرقد حولك بسلام ، وهذه المرأة الساهرة قربك هي أمك ، وما يعبق حولك إلاَّ عرف الازهار ، وليس على شعرك إلاَّ بلل الزيت المعطر وما احمرار وجهك إلاَّ تورد من دماء قلبك .

سكوتاً . . . لقد قرع الباب ، وأُغلق سكون الظلام وقع أقدامٍ تخطُّ الدهليز ، ولمع نور جسّاس يتقدَّم شبحين

هذا أنت ، يا رولا . . . ماذا أتيت تعمل في هذا المكان

***

أي فوست . . . أفا كنت مستعدًّا لمبارحة الارض في تلك الليلة المفجعة حين تقدَّم اليك الملاك المطرود من الجنان ملقماً بدثاره الناري خصلك ليجول بك في أبعد الآفاق أفا كنت تذقت بلعتك الأخيرة ، وضربت بعرض جدرانك التهدمة حيثك

الجمد بضعون سنين عاماً ، حين سمعت من بعيد نبرات الاناشيد المقدسة فارتعشت والسموم تجول على شفتيك والموت يواكبك وأنت تركب الكائر حتى وصلت الى آخر مرحلة من انتحارك البطيء ، فانفجر قلبك وقد أخلفهُ الزمان كما يتفتق الصخر من لوافح الحر أيام الصقيع

لقد كانت دنت ساعتك أيها الشيخ ، وكنت تواجه الفناء بلحيتك وقد رعى سوادها المشيب وهزت الحياة جذورك لتقلعها ، فاذا بملاك الموت يقف حائراً بك ، حين قطرت من ساعدك النحيل قطرة من دمك تريقها كمهد لا يلبس ليردك الى الدنيا

يا لهُ من لعين بليل سرَّ على رأسك المجلل بالبياض ، أي نوست ، عند ما قضى لك ان تعود الى الدنيا لتلحق بأهداب طفلة في الخامسة عشرة من ربيع الحياة . . .

***

خمسة عشر ربيعاً ، هو عمر جوليت ، اي روميو ، عند ما كانت قبلاتكما تهازجان مع نشيد القبار ذاهبة معها على أجنحة النسمات

خمسة عشر ربيعاً ، هي شجرة الحياة في الواحة المخضلّة بين كثبان الرمال

خمسة عشر ربيعاً ، هو عمر حواء عندما نشأت من راحة الله فأودعها خلود الاجيال

لقد كنت زهرة الجنة ، أيتها المرأة الاولى ، فمراك الذبول وقادتك الخيانة الى الحرمان . لقد كان سيدك خالداً فأوردته الموت وما تناقص حبك لهُ ، ولئن أعيد اليك جنانك ، فلن تترددي في اضاعته مرة ثانية ، لأنك تعلمين ان من يعبد الرجل هو انتر ، وأنتر تريدينهُ طريداً منفيّاً لتكوني جزاءه في شقائه وموته

***

وألقى رولاً بنظراته الكئيبة الحاسرة الى ماريا المنطرحة على سريرها المديد ، فارتعش كأن قوة سرية راعتهُ فهزته هزّاً

ان ما سيؤديه لقاء تمتعه ليلة واحدة بماريا لبلغ جسيم وقد اضطر الى بذل آخر دنانيره في سبيلها ، وكان أصدقاء رولا عارفين بما اقدم عليه وقد اعلن لهم قبل مبارحتهم ان احداً لن يراه بعد حين يشق الضحى ظلمات هذا الليل

لقد مرت به السنوات الثلاث وهي خير مراحل شبابه ، ثلاث سنوات مليئة بالملذات والعربدة والسكر ، مرت كحلم وتلاشت تغاريدها كألحان طير عبر في الفضاء وتوارى

انها لآخر ليالي رولا هذه الليلة ، ليلة الموت التي تطبق فيها شفتا المحتضر على آخر نوسلاته ، وتنفتر فيها الروح كل شيء اذ ترى كل شيء يتقرب الى الحق حتى ليكاد يندغم فيه . ورولا قد جاء يقضي ليلته الاخيرة هذه بين احضان فتاة ساقطة ، على سرير طفلة تنتظره كنمس ذابل يترامى على نعشه المفتوح

يا للاحتلال الابدي ... يا للجريمة تدفع بالطفولة الى مهاوي الفحشاء . . .

أفا كان خيراً لهذا الجسم الضعيف الصغير المستسلم للدعارة ولا من يدافع عنهُ ان يتناوله منجل الحصّاد فيزرعه بئراً وان تمد يد الى عنقه فتفكك عظامهُ فكًّا ؟

أفا كان خيراً لهذا الوجه ان يُطلى بالجير ويُشد قوقهُ قناعٌ من حديد من ان تجيء الفحشاء فتحوله الى غدير صاف تمكس على سطحه الازهار ونجوم السماء وفي قعره قطرات الثلج ؟

***

يالهُ من جمال يغالب التلاشي فيبقى جمالاً . . ويا للكنز المهتوك . .

أية قبلة غرام تروم على هذه الشفاه . وأية أثمار تهيأ للافتقاد على هذا الاملود تهب عليه نسمات السماء بل أي لعب يكمن في هذا المشمل الطاهر تراوده لوامح الفحشاء

***

أيها الفقر ! . . ايها الفقر ، انت هو الفؤاد الذي ألقى على هذا السرير بهذه الطفلة التي كانت اليونان القديمة ترفع امثالها الى هيكل (ديانا)

لقد أدت فرض صلاتها قبل ان رقدت امس ، ولمن وجهت هذه الصلاة ، يا لله ! .

أفا كان الاولى بها ان تركع امامك أيها الفقر لاجئةً الى رحمتك متوسلة اليك .

أفا انت من جاء ذات ليلة مع عاصفات الرياح مقتحماً الاهوال الساهد في المسكن الحقير لتقول للام (إن ابنتك عذراء ورائعة الجمال ، والبكارة تباع والجمال يباع)

أفا انت من تحمل هذه الطفلة ، ايها الفقر ، وأرسلها الى المهرجان ، كما تحمل الاموات لتدرج في الاكفان ؟

أهي أم أنت ، ايها الفقر ، من القت بالدنار الصغير وتراكض تحت لمعان البروق قاصداً باب العهر والابتذال

من يدري ، لو أنك جدت عليها بالرغيف ، ان كانت ستلقى ماقدر لها على غير هذا الباب

ما كان هذا الجبين الناصع جبين فتاة لا حياء فيها . وما كان لهذا القلب الطاهر ان ترعاه جرائم الفساد وهو يستقبل شفق الحياة

ويلٌ لهذه الطفلة تدفع الى مهب العواطف المضللة الجامحة وعاطفتها لما تزل راقدة لقبورها عاريون وهي ماريا... والقوا بها الى هاوية الفحشاء ، وماعرفها لمان الذهب ولا استوتها حياة الاغنياء ، انها بائسة لا تطلب الا قوتاً وما استسلم تحت هذه الستائر المروعة على هذا السرير ، سرير العار الا لتعود الى أمها بما جنته من عذابها عليه ...

***

أين شفقتكن ، يا نساء المجتمع ، المرسلات احتقاركن في البيش المرح على كل من لا يشتم بما تتمتعن به من حبور ورخاء ؟

أين شفقتكن ، ايتها الامهات ، الموصدات الابواب على البنات في الخدور والساترات العشاق تحت أسرة الازواج . ؟ .

إن عشقكن ذهبي الاحلام تنفخ الحياة فيه جاعات الخيال

ولكم فيكن من تباهي بمثل هذا العشق لانها ليست معروضة بين الباعات اعراضهن لمن يشاء ، ان مثل هذه المرأة لم تشهد شبح الجوع يتقدم ليرفع غطاء سريرها منشداً طروباً يلصق شفتيه على فمها متقاضياً قبلة لقاء كسرة خبز . ...

***

ايها الجيل ، انراك ذاهباً في ما تبك ذهاب الاجيال المنصرمة قبلك تندفع كالنهر الصاخب حاملاً جثثاً هامدة على مجراك متراصية الى بحر الكون ، في حين ان هذه الارض الهرمة تشهد هذه المآسي بين الولادة والموت تنتشر دائرة حول الشمس دون ان تتجاوز مدارها لتصعد نحو خالقها شاكية اليه هذا الشقاء

***

لك اذاً ، أيتها المومس الجميلة ان تهبي وتمزقي ستر نهديك ، فالحرة تنعم متدفقة في الاكواب ونسمات الليل تهز شهدلات الستائر وقد لاح ارتعاشها في مرآتك

انهضي انها ليلة رائعة بذلتُ لها ما تستحق من ثمن ، وما كان المسيح ليشعر اثناء عشائه السري بقدر ما أشعر من جذل وحبور في عشائي الاخير

هيا تعالي ، وليحيا الحب الكامل العربيد ، دعيني أتذوق خمرة الاندلس في

رضابك ، ولتحملنا ملائكة اللذة على معاصمها الى حيث لا صواب ولا شعور

هيا بنا نقصد الحب والحزن خير أغانينا ونضرب نحب الزمان الثار ونحب لموت القريب تعالي نكرع الحمرة ولـو كل شيء الاّ الحمرة والجمان ، فلا يتصاعد هتافنا الاّ لتبجيل الحرية والحياة

— ٤ —

اي فولتير ، اترقد الآن بسلام ، ولما تزل بسمتك القبيحة تلوح على موضع الثغر من جمجمتك البالية

قالوا ان عصرك لم يكن ناضجاً ليفهمك ، فهلا راقك عصرنا وقد ولد فيه رجالك

لقد عملت راحتاك المريضتان طويلاً في زعزعة ذلك الصرح الرفيع فتداعى ولـكنهُ هوى علينا بأنقاضهِ نحن ابناء هذه الايام .

لقد انتظرك الموت ثمانين حولاً وهو يتشوّق اليك وأنت تراوده تمنّعاً وتعذيباً فما كان غرامكما الاّ شرارةً من الجحيم .

أفلا تنسحب احياناً ، اي فولتير ، من فراش عروسك بنت الدم بين ديدان القبور لتذهب بجبينك الشاحب تائهاً بين أنقاض الاديرة واطلال القصور .

ماذا تراها تناجيك هذه الصروح المقفرة والهياكل المتهدمة وانت نفخت عليها فأتوت وغدت خاوية لا حياة فيها.

ماذا تناجيك الصلبان ، وما يقول لك المخدّش المشبوح عليها ، اقتدى جراحه عندما يتقدم شبحك اليه في الليل محاولاً اقتلاعه كما تُقتلع الزهرة الذابلة عن معارشها ؟

أفراضٍ أنتَ ، يا فولتير ، عن عملك رضى المبدع حين فرغ من الخلق فرأى حسناً كل ما ابدع.

أما وأنت الراضي المبتهج بما أتيت ، فاني ادعوك الى وليمة في هذا المساء ، انهض من مرقدك فما عليك الاّ ان تضرب الباب بلا استئذان وتدخل الى حيث احد اتباعك يتناول عشاءه الاخير.

أفما تسمع قبلات هذا الفتى وهذه الفتاة، أفما يلوحان لك وقد تعلّق كل منهما بساعدي رفيقه جسداً واحداً بروحين وقد زفرت شفاههما المرتجفة بشهيق كأنهُ نحيب وإعوال.

كلاهما نبي وكلاهما رائع الجمال ، وهذه صرخة الغرام بينهما تستهوي المساء لتنزل بستائرها الذهبية على عناقهما المديد .

فتش على الحب بين هذين المتعانقين ، إنهما ما عرفاه من قبل وما يعرفانه الآن ..

***

وهذه الكلمات الرائعة الساحرة أين تلقناها ، وليس الا لنشوة الحب ان تقوه بها بين الشهيق والزفير ؟

يا للمرأة من أداة حبور ومن أداة تعذيب ، يا لها من هيكل سرّي تعالى فوقه همسات المصلين وصخب اللاعبين ...

أين ترى تحول من الاجواء او من الاصداء هذه الكلمات الابدية التي لم تزل تتردد منذ خمسة آلاف سنة على شفاه العاشقين ؟

***

يا المطاولة الكافرة : ليس من حب هنا ، وهنا ملاكان وقلبان ما أحقهما بالاعتلاء في صفائهما الى أبيهما الأعلى مع طبقات الاملاك

ليس من حبّ هنا ، وهنا زفيرٌ في الليل ، بل هنا الطبيعة بأسرها ترتعش تامة من خمرة الغرام

هنا عبقات بخورٍ وأقداحٌ مبعثرة ، هنا تصدو قُبَلاً لا عداد لها ، ولعلّ هنا ، ويا للشقاء ، يتكوّن مخلوق تحت صولجان الثور

اذا كان لا حبٌ هنا ، فما هو هذا الشبح الرائع كأنهُ الحب بعينه ؟ ..

***

يا ساكن العزلة تحت قباب الاديار ، أيتها المدائن المظلمة ، ان الحب كامن فيك. وما من شفة ألقت قبلة ملتهبة على أعمدتك وأحجارك دون ان ترتعش بنشوة الحب السبق

تعالي أيتها الصروح ، صروح المتنزلين ، تقدمي واحتكي أستارك أمام هذا الفتى وهذه الفتاة وهما يلتهبان بشوق النشوة على سرير لا يصلح الا للرقاد وللموت

اضربي بقلبهما عرض جدرانك ، أيتها الصروح ، واغرسي فيهما أشواك ما فيك من سموح دامية وارسلي على جبينهما رشاش هيأكلك المقدسة ، قولي لهما كم عجب على امثالهما

من سجدة على النحود ليدركوا حقيقة الحب كما يدرك بين جدرانك أيتها الاديار . . .

***

انكم لتكرعون نمالة كؤوسكم فترسلونها الى اعماق قلوبكم ، أيها المترهبون ، انكم ترون وجه المخلّص عند ما يراود النعاس أجفانكم . وعند ما يغلق الصباح تلك عيونكم هذا الوجه ايضاً على زجاج النوافذ المذهبة بالنور ، وأنتم تصغون الى ما تهتفون مع الارغن من أناشيد الصلاة

هذا هو حبكم تفانون في سبيله فتجدون السعادة فيه

***

أي فولتير ، أنظر الى هذا الشاب المتدفق قوة وحياة يترامى بأحر قبلاته على هذا الصدر البديع ، انظر اليه انهُ سيسجى غداً في لحده الضيق ، فهل لك ان تغبطهُ

لقد قرأ هذا الشاب ما كتبتَ للمجتمع فلن يجد سلواناً ولا أملاً بعد ان أصبح طعمه جحوداً ، فلك غداً ان تضمهُ الى رفاقك دون ان تهتك حرمة قبرك

أفتُراكَ تعتقد ، يا فولتير ، لو استبقيتَ في نفس هذا الرجل شيئاً من الايمان انهُ كان سيلقى باحتضاره على فراش الفحشاء ؟

ليتك أبقيتَ لهُ الاعتقاد بأن الموت اجتيازُ سبيرٍ الى قرار ، لكان اذن لا يبالي ولا يخاف اقتحامه فينظر الى ملاك الموت نظره الى عروسة تتعالى في السحاب حاملة مفتاح قلبه الذهبي لتطرحهُ عند عرش الله الحي

***

هذه صيحتك ، يا فولتير ، هذا هو الانسان كما أردت ان يكون ، فان التاريخ لم يشهد الاّ منذ أمس من يموت كما يموت رولاّ . . .

عند ما وقف برونوس على أنقاض روما صارخاً (ما أنتِ الاّ كلةٌ أيتها الفضيلة) لم يكن يرسل لعنةً او يتفوّه بتجديف

كان برونوس فقد كل شيء ، ولم يبق لهُ لا وطن ولا مجد ولا أمل ولا حرية ، بعد ان توارت عنهُ (بورنيا) وفارقهُ (كاسيوس) ، بعد ان أراق دمه وتفرّق جنده من حوله ، فامتنع عليه أن يؤمن بشيء على وجه البسيطة . ولكنهُ عند ما رأى نفسه وحيداً ولا مقعد لهُ الاّ قطعة من الصخر ، رفع أبصاره الى السماء فما

تفقد شيئاً في مداها الفسيح ، بل تفس قلبه منها نسمات الامل فأدرك ان آلهته لم تزل وان سيفه لم يزل في قبضة يده

اما نحن ، فتلك الآلهة فأي شيء بقي لنا ؟

***

لن تسلون ، ايها الهدامون الاشياء ؟ . .

اي شيء تريدون ان تزرعوا على قبر المسيح اذا انتم اسقطتموه عن هياكله وقذفتم بالحمامة البيضاء الى الهاوي المظلمة .

لقد طمحتم الى خلق الانسان من جبلتكم وتكوينه على شاكلتكم وعلى هواكم ، لقد اردتم اقامة عالم جديد ، فها هو ذا العالم الذي اردتم

ان عالمكم رائع وانسانكم متفوق كامل ، لقد هدمتم الجبال وافسحتم مدى السهول واستنبتم شجرة جديدة للحياة .

لقد كسحتم كل حائل فهدتم طرقكم على الحديد .

كل شيء عظيم وكل شيء رائع ، ولكن هذه الاجواء تكتم الانفاس وتشد على الصدور وقد ذهبت اقوالكم الرنانة على الرياح الموبوءة تزعزع كل معبود ، فروعت الاطيار وشردتها . .

لقد قضي على الرياء ، فما يثق بالكهنة احد ، ولكن الفضيلة تنهار وقد انتشر الجحود على انقاضها

ان البلاء ياهون بطارف امجادهم ، بعدان اصبحوا يصرضونها للابتذال في المواخير؟

لقد اصبح التفكير حراً واطلق اليأس على مسارحه ، غير ان الشعب اصبح يتوق الى الميادين تصارع عليها الثيران

لا الفقير اذا عزت نفسه عليه ولا الغني اذا اجتاحته المحن يلجآن الى الرهبنة في هذه الايام ، فهما يعتبران هذا الانعزال جنوناً وبفضل كل منهما ان يشعل ناراً في غرفته ويوصد نوافذها ليختنق بسمومه

— ٥ —

ولاحت لعين رولا اوائل اشعة الشمس على السطوح فذهب الى الشرفة يتطلع منها الى الطريق وكانت العربات الضخمة قد بدأت تهتز باثقالها على المنعطفات ، فاحنى

رولا جبينه الشاحب وقد حكمه الذهول امام السماء يشق الضحى فيها تأثر الافق الحمراء .

وكانت على الساحة جوقة من رعاع المشين تنشد أغنية قديمة .

يا للاغنية يسمعها الانسان في ساعات محنته بعد ان تغنى بها في مرح طفولته . انها لتمحو كل ما انطبع بعدها في التذكار فتحفر بين ماضيه وحاضره هوة سحيقة واذ يشعر بعدها عنها او بعده عنها ، اذ يشعر بتقادمها او بتقادمه ، يحني رأسه المتعبة على ذراعها حزيناً واجماً .

ان هذه النغمات القديمة لانفاس ماضي المرء من اطلال وخيب ما فيه من ملائك التذكار ترف على احلام الطفولة وحبها البريء .

انها لتهب بذراعها على أزاهر الزمان المتصرم فتنوّرها وتتعالى باكية فوق مضجع احتضارنا بعد ان غرّدت فوق مهودها .

***

وادار رولا رأسه فرأى ماري مستسلمة للكرى وقد أرهقها السهاد .

هكذا كانت الطفلة تفزع الى عالم الرؤى والرجل يفزع الى عالم الفناء .

عند ما تمزق الغمام شمس الخريف لتقع على ركام الثلوج ، تبدو هذه الركام ملتهبة كأنها صدر الصباح تملوه حمرة الخجل من قبلات النور المحرقة .

هكذا يتورد إهاب العذراء من دم قلبها عند ما تمسّها الشهوة باطراف جناحها .

أي كوكب النهار ! ما الارض الا مشوقتك الهائمة وما تحفظ أنت بشبابك الا لتسكب عليها روعة الجمال الى الابد .

***

اي ، أطيار السنونو المتطايرة في الافق متعالية متهاوية ، خبريني لماذا تُقضي عليّ أن أموت . . .

أيه ، ما أفسح الانتحار . . . ويا ليت لي جناحين لامدهما في هذه الاجواء الصافية فأذهب طائراً طليقاً

علّماني ، يا أرض ويا سماء ، ما هو معنى الضحى ، وما هي قيمة يوم جديد في هذا العالم الهرم القديم .

قولي لي أيتها المروج الخضراء وأيتها البحار السحيقة لي شيئاً ينجلي فيك اذا

كنت انت محرومة من الشعور ليهتز القلب اهتزازاً امامك وتجثو الركاب عند ما توهج آفاقك بأنوار الصباح . . .

من أوثق رباط الخطوبة بينك وبين كوكب النهار أيتها الارض .

ماذا تقول الاطيار في تغاريدها وعلى من تبكي أنداء السماء ؟

لماذا تحدثيني عن حبك الآن ، وماذا تريد الكائنات مني وانا اطلب الفناء .

***

أية قوة كانت تدس في خيال رولا كلمة الحب فتجول فيه بكل روعتها . بل اي هاتف كان يلقي بهذه الكلمة في أذنه والموت منتصب أمامه .

اي معنى لكلمة الحب تقال لفاسق عاش يوماً فيوماً متنقلاً من خمارة الى خمارة محتقراً الحياة مباهياً بتحقير كل عاطفة تمت الى الحب بسبب .

أتقال له هذه الكلمة وماوقعها في سمعه الا وقع إهانة توجه الى قلبه المتحجر حيث لم تنبت زهرة واحدة وهو يعرضه قاحلاً على الناس كما يعرض الجندي جرحاً قديماً .

أيذكر الحب أمامه وهو من لا خليلة ولا سكن له وهو من عاش في ملاعب الرياح متحدياً تصاريف أقداره مسلماً شبيبته لكل زعزع ينفضها نفضاً كأنها أوراق ذابلة على شجرة جف جذعها .

من ترى تذهب به الفجأة الى الوقوف امام هذا المخضر ليذكره بالحب بعد ان كرع ثمالة كأسه والقى الى ليل الابد بآخر شرارة من حياته وها هو ذا في ساعته الاخيرة ينقش على سرير ماخور يخطر عليه لبلفظ آخر انفاسه ويدفع بآخر لفاته .

***

عند ما تبارح أنثى العقاب وكرها ينقدم فرخها الى حافته متحفزاً فكأنه يحس باقتداره على نشر قوادمه والانطلاق في الفضاء

من ترى يهيب به الى الطيران ويشجعه على اقتحامه وهو لم يغرج مخلباً ولم ينشر جناحاً من قبل . انه يعلم بنسبه وأن له أن يقتحم الرياح عندما تدغدغه لفحاتها

على ان تحت الشمس منابت للارواح السافلة كنابت الكلاب وبنات آوى والافاعي ، تنبت هذه الارواح كما تنبت هذه الحيوانات فتموت حيث ولدتها امهاتها وكلها تحمل في احشائها جراثيم سلالاتها الدنيئة كان الطبيعة تبقي على اجناسها سعاداً تمد به التراب حول القبور ، ولكن لهذه الطبيعة قوتها المرة

تعمل بها على خلق طبقة من الاحياء نبيلة تمر على الحياة فلا تعلق بها ارجاسها

ومن حسنة الفطرة هذا الصفاء ، فانهُ ليتسرع في الحمأة وتدور به الشرور خانقة سريرته طوال ثلاث سنوات دون ان تقضي عليها اذ يجيء يوم ينتبه فيه ضميره فينتفض قلبه انتفاض عدان (سان دومينيك) الذين مرّت عليهم الاحقاب حتى تمكنوا من اقتلاع سلاسلهم من ارض العبودية حين عصفت بهم زعازع التمرد ونسمات الحرية

هكذا تنتبه أفكارك الآن ، يا رولاّ ، محاولة تحطيم قيودها فهي تصيح بك وقد لاحت في دياجر القفر مشاعل الحياة ذاهبة الى ما وراء الحياة

أي رولاّ ان هذا الدم الذي تسفك به يداك إن هو الاّ وهمٌ يتبدّد ، انما الدم خيالٌ قائمٌ لا تتطفى أمامه أنوار الارض حتى تتوهج لمعانها في الابدية

انك ما أحببت من قبل ، فانك لن تحب الى الابد

***

وعلا وجه رولاّ الشحوب فأغلق النافذة وهو يرتعش فاذا بيده تصدم زهرة ناضرة فتقصفها واذا بالزهرة تهتف في اعماق روحه :

أحب وأموت . . . لقد أهبني النسيم تقبيلاً فتوتّر توجعي وتساقطت أوراقي ، لقد لبست له الزهو والبهاء فجاءت النفحة تهبني الحياة ، وما يهم الزهرة السحاق قلبها بعد ان تفتحت اكمامها

***

احب ... هذه هي الكلمة التي تلفظها الطيعة بأسرها لتحملها أجنحة الرياح والاطيار ، هذه هي الزفرة المفجعة تزفرها الارض عند ما يحين لها ان تدفع الى أغوار الظلام

وهل تهم الكواكب بغير هذه الكلمة الحزينة الرائعة وهي ذاهبة في مدار اجوائها ؟ ان أضعف النجوم اندفعت منذ ابدعها الخالق متجهة الى حبيبها كوكب النهار ، واندفع وراءها ما يشتاقها من الاجرام فسارت العوالم منذ الازل منجاذبة بالحب في أفلاكها

***

ووجم رولاّ أمام الفتاة الراقدة متفرساً في ملامحها ، تأخذه منها روعة الجمال

وتميد إليه رؤى كأنه شاهدها فيما مضى من الزمان ، فارتعش متسائلاً : أليست هذه الموسى أخته في هذه الغرفة تلحد فيها كما سيُلحد هو ، افما يحس الى جنب ما يعانيه من أنحام الموت بما تعانيه هي من أوصاب الحياة

***

ان الصبر يتشى على مهل في قلب هذه المخلوقة الشقية الواهية ، أقليست آلامها اختاً لآلامي . أفا هي المثال الذي تقدّر لي ان اراه ممدداً على لحدي ، وأنا انحفز للنزول الى اعماقه ؟

لا تنتبهي من رقادك ايتها الفتاة ، إن انتباهتك من حياة الارض ولكن هجوعك طاهر فهو لله . دعيني أقبل الناس على أجفانك فأودّعه وأوليه حبي ، فهو لم يبع وشاح طهره ولم ادفع له ثمناً . إن وسنك لم يزل طفلاً ذاهباً في احلام طفولته ولم يعلق به منك إلا روعة جمالك

***

يا للجسم الملائكي يتلوّى وراء هذه الستائر المتماوجة

أفا يكتفي الحب بما ترسمه الخطوط في انسقها المادي وبما يهب عليه من نسمات الهواء ليغرّد بأشجى الحانه ، وهل الحب الا الضحية المستسرة للخداع ، الا الليل يرتعش فرقاً من زوال دائه.

اذا كان العاشق لا يظفر من الحبيب الا بما يحتاج اليه من الوهم ليستمتع بعذابه ، فعلى م أذهب مفتشاً على الوهم في الآفاق .

مالي ولماري وحياتها ، افا هي امامي الآن مجسّم القوة والحياة ؟

لك ان تأتي الآن ، ايها الحب ، اذا كنت انت عطر الحياة ولبقح عبيرك من هذه الزهرة البائسة وقد تفتقت اكمامها عن مثل هذه النضارة وهذا الجمال . . .

***

وتقدم رولا الى السرير وتمدد جنب ماري فاشتبك الناظران وتمازج النفسان.

وقالت : — كنت أشهد رؤيا غريبة ، رأيتني على هذا السرير انيق من رقادي، فاذا بهذه الغرفة متبسطة امامي كأنها مقبرة واسعة الارجاء تبعثرت العظام البالية بين اكمانها الخضراء .

ورأيت ثلاثة رجال يحملون نعشاً تقدموا به وانزلوه عن اكتافهم ليؤدوا فريضة الصلاة ، فاذا بالنعش ينقلب عنهُ الغطاء واذا انتَ ممددٌ فيهِ وعلى وجهك رشاشٌ من الدماء السوداء .

رأيتك تنهض من النعش وتتقدم اليَّ آخذاً يدي قائلاً لي — ماذا تفعلين هنا ، لماذا تحتلين مكاني .

والتفت الي نفسي فاذا بي ممددة على قبر .

فقال رولا — إن في حلمك حقيقةً وإن خلا من الخيال ... ولن تحتاجي الى إغماض جفنيك غداً لتري مثل الحلم ، فاني منتحرٌ اليوم

***

ونظرت ماري الى مرآتها وهي تبتسم ، فلاح لها وجه رولاً في المرآة وقد علتهُ صفرة الموت فارتعشت وامتقع لونها فصاحت به : — مالك ، ماذا جرى لك ؟

فقال : — أنا بلغت اني أقلعت منذ امس ، وهل أتيت إلاَّ لأحيي ليلة الوداع بقربك . ما من احد يجهل هذا ، وقد قضيت بالانتحار على نفسي

— أقامرت بمالك

— لا لم اقامر ولكنني بددتُّ مالي

فحدجت الارض بأنظارها مستغربة وقالت : — أفليس لك امٌّ ، أفليس لك أقارب وأصدقاء ، أفليس لك أحد في الحياة ؟ أتنتحر ، ولماذا تنتحر . . .

والفت عليهِ نظرة تشع أسىً وحناناً وترددت على شفتيها سؤالات لم تجسر على النفوه بها . فألقت رأسها الى رأسهِ واحتطفت عليهِ قبلة واجفة ، وهي تقول همساً : — ليس لي مال ، فان أمي تأخذ ما تصل اليهِ يدي ، ولكنني املك عقدي الذهبي أذهب فيبعه لي فتأخذ ثمنهُ وتقامر به مروداً حظك ؟

ابتسم رولا على مهلٍ وأخذ حقًّا أسود صغيراً أفرغهُ في فمهِ ، ثم انحنى يقبّل عقدها على نحرها ، وإذ رفعت رأسها لم تجد على صدرها غير جثتهِ لا حراك فيها

وكان رولا قد لفظ روحه بالقبلة الطاهرة

وكان الحب قد ساد لحظةً عليها وعليهِ . . .

تمت